

التغير السوسولوجي في متن تطبيقات الويب 2.0 الحراك المجتمعي العربي نموذجاً^١

١. د. حسين سالم مرجين

جامعة طرابلس - ليبيا -

Résumé

Le thème des applications réactionnelles du web 2.0 et sa relation avec le changement sociologique est considéré l'un des objets qui intéressent la sociologie. Cependant, elles restent ambiguës car les études faites sur ce thème sont rares, dont elles nécessitent la connaissance et la compréhension des mécanismes du fonctionnement de ces applications réactionnelles. Cet article tente de traiter ce thème à travers les éléments suivant:

- L'identification du concept du changement sociologique

L'identification du concept du web 2.0

- Expliquer les déterminants de la relation entre les applications réactionnelles du web et le changement sociologique dans la société arabe.
- Expliquer le rôle des applications réactionnelles du web sur la mobilité sociale arabe fin de 2010 et début de 2011
- Expliquer le rôle de la sociologie à dévoiler les changements sociologiques menés par la nouvelle technique.
- Tenter de prévoir le cours des techniques du web, et son influence sociale par le biais de l'imagination sociologique.

الملخص :

يعتبر موضوع تطبيقات الويب 2.0 التفاعلية وعلاقتها بالتغير السوسولوجي، من الموضوعات التي تندرج ضمن اهتمامات علم الاجتماع، إلا أنها لا تزال غامضة، فالدراسات التي قامت حولها شحيحة، حيث تحتاج إلى دراية وفهم ميكانيزمات عمل تلك التطبيقات التفاعلية، وتحاول هذه المقالة الوقوف على هذا الموضوع من خلال العناصر الآتية :

- تحديد مفهوم التغير السوسولوجي.
- تحديد مفهوم الويب 2.0
- توضيح المحددات العلاقة بين تطبيقات الويب التفاعلية، والتغير السوسولوجي في المجتمع العربي.
- توضيح دور تطبيقات الويب التفاعلية على الحراك المجتمعي العربي أواخر 2010م وبدايات 2011.
- توضيح دور علم الاجتماع في الكشف عن التغيرات السوسولوجية التي أدت إليها التقنية الجديدة.
- محاولة التنبؤ بمجريات تقنيات الويب، وتأثيرها المجتمعي، من خلال إعمال الخيلة السوسولوجية.

التهيد :

يعتبر موضوع تطبيقات الويب 2.0 التفاعلية وعلاقتها بالتغير السوسولوجي، من الموضوعات التي تندرج ضمن اهتمامات علم الاجتماع، إلا أنها لا تزال غامضة، فالدراسات التي قامت حولها شحيحة، حيث تحتاج إلى دراية وفهم ميكانيزما عمل تلك التطبيقات التفاعلية، فأقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية مثلاً: تبتعد في كثير من الأحيان عن البحث في مثل هذه القضايا والإشكالات ذات البعد المستقبلي، وبالرغم من كون التطبيقات التفاعلية قامت بدور في الحراك المجتمعي في ليبيا بدايات العام 2011م، إلا أن الدراسات حول دور تلك التطبيقات التفاعلية تكاد تكون معدومة، وهذا الأمر يحتاج إلى وقفة للتدبر حول أدوار ووظائف علم الاجتماع في الجامعات العربية – والليبية على وجه الخصوص، ومن جهة أخرى فإن عملية ممارسة التصفح والتفاعل مع المواقع والصفحات على الويب ينتج عنها معارف لا يمكن استيعابها وفهمها إلا من خلال الفكر، وبالتالي تصبح المسافة بين الممارسة والفكر أكثر قرباً، كما أن محصلة ذلك الفكر ربما تُشكل فرصة للبحث والتدبر بغية إنتاج نماذج استرشادية تمتلك أدوات التنظير القادرة على التفسير، ومن ناحية أخرى فقد خرجت جملة من المفاهيم والمصطلحات نتيجة للتفاعل بين المستخدمين لتطبيقات الويب التفاعلية، مثل: المجتمع الافتراضي، والعائلة الافتراضية، اليوتوبيا الافتراضية، الحراك الافتراضي...إلخ. مما فرض على علم الاجتماع الذي يهتم بما يحدث بين البشر أن يتسع قليلاً ليشمل بحثه تناول العلاقة بين الأفراد والجماعات من خلال التطبيقات التفاعلية، فتشكل بذلك ميلاد حقل معرفي جديد، يعتني بدراسة العلاقة بين المتفاعلين من خلال تلك التطبيقات، ومن خلال النظر إلى تلك الدراسات كونها دراسات سوسولوجية تكنولوجية، تهتم في مجملها بالحركة البشرية الرقمية في العالم الافتراضي السايبري (الإنترنت)، كما يطلق عليه في أدبيات الغرب Cyberspace علم الاجتماع السايبري أو السيرياني، كما أن ميلاد هذا العلم تمخض عنه دون شك الحاجة إلى إنتاج مفاهيم ومصطلحات جديدة مستمدة من طبيعة التقنية الجديدة، وفي الوقت نفسه تكون قادرة على التعبير عن ماهية العلم الجديد، باعتبار أن "كل علم بحاجة إلى مجموعة من المصطلحات المحددة بكل دقة، وهذه المصطلحات هي التي تحدد مصطلحيته"، ووفقاً لهذا الاعتبار لا وجود لعلم دون مصطلحية". (مولاي بوخاتم، 2008)، كما برزت بعض

صعوبات النظرية من خلال غياب نظرية اجتماعية، تتعاطي مع التغيرات السيوسولوجية التي أدت إليها عملية الاستخدام والتفاعل مع التطبيقات التفاعلية على المواقع وصفحات الويب، إضافة إلى قصور مناهج علم الاجتماع عن كشف النقاب عن الدور الذي تقوم به هذه التطبيقات التفاعلية في عمليات التغير السيوسولوجي في المجتمع العربي، فخلال المدة من أواخر 2010م وبدايات 2011م، قامت مواقع التواصل الاجتماعي من خلال التطبيقات التفاعلية بدور التعبئة والتنظيم في عملية الحراك المجتمعي في المنطقة العربية، إضافة إلى إيصال رسالة للرأي العام العالمي بوجود حالة حراك مجتمعي، يُطالب بتغيير أنظمة الحكم نتيجة للفقر والاستبداد، وبالفعل انطلق حراك مجتمعي عربي من مجالته المجتمعي الافتراضي إلى المجال المجتمعي الواقعي مستفيداً من تطبيقات الويب التفاعلية، خاصة في مجال التنظيم، وخرجت الدعوات تُطالب بإحداث إصلاح وتغيير في أنظمة الحكم، وبهذا أصبحت هناك دلالات واضحة على أن عالم اليوم ليس هو عالم الأمس، وأن هناك أشياء جديدة خرجت عن المألوف، في حين كانت الأنظمة السياسية الاستبدادية لا تزال تعيش في عالم الأمس، ولا تعلم بوجود قوة ناعمة اخترقت كل الحدود دون استئذان منها، متجاوزة كل القوانين والقواعد المصريح بها، ومن ثم فلن تكون خاضعة لها، وفي هذا السياق تذكر قصة محاولة القذافي تدمير مركز العدالة والديمقراطية في ليبيا سنة 2007م، "حيث استدعي القذافي ضابطاً في سلاح الهندسة وطلباً أمرًا بإزالة المبنى الذي يقع فيه المركز، حيث قام الضابط بشحن آلاته الثقيلة على الشاحنات العملاقة وبدأ يسأل عن مكان هذا المركز الملعون، ولم يجده ليتبين له فيما بعد بأنه موقع على الانترنت، فعندما أبلغوا القذافي بذلك فلربما شعر بأن الحكم أصبح أكثر صعوبة لأن الفضاءات الافتراضية لا يمكن تدميرها أو التحكم بها" (عبدالمطلب الهوني، 2015، 138) وبشكل عام سيتم التركيز في هذه المقالة على التغير السيوسولوجي في المجتمع العربي خلال المدة من أواخر 2010م وبدايات 2011م، في صلب الويب 2.0 والمتمثل في الحراك المجتمعي العربي، كونه يحتاج إلى وقفة للتدبر بغية البحث والدراسة، ومن ثم فإن الأمر يحتاج إلى توضيح المفاهيم والمقاربات السيوسولوجية بغية دراسة تلك الأدوار والوظائف التفاعلية وتأثيرها المجتمعي،

وبشكل عام يمكن تحديد أهداف هذه الورقة في التالي:

- تحديد مفهوم التغير السوسولوجي.
 - تحديد مفهوم الويب 2.0
 - توضيح المحددات العلاقة بين تطبيقات الويب التفاعلية، والتغير السوسولوجي في المجتمع العربي.
 - توضيح دور تطبيقات الويب التفاعلية على الحراك المجتمعي العربي أواخر 2010م وبدايات 2011.
 - توضيح دور علم الاجتماع في الكشف عن التغيرات السوسولوجية التي أدت إليها التقنية الجديدة.
 - محاولة التنبؤ بمجريات تقنيات الويب، وتأثيرها المجتمعي، من خلال إعمال الخيلة السوسولوجية.
- وبغية الإحاطة بكل الأبعاد، والنفاذ إلى أعماق الأعمق، فإننا بحاجة إلى طرح تساؤلات عن
مكانيزما عمل الويب 2.0 ، وقبل ذلك فإننا بحاجة إلى تحديد مفهومه، وخصائصه، ومميزاته، كي
نستطيع طرح تساؤلات ذات علاقة بالتغير السوسولوجي، والمتمثل في الحراك المجتمعي العربي
خلال المدة من بدايات 2010م، وأواخر 2011م جالاً فإن تساؤلات المقالة تتمحور في النقاط
التالية:

- ما مفهوم التغير السوسولوجي وعلاقته بعلم الاجتماع؟
- ما المقصود بالويب 2.0؟
- ما أهمميزات وخصائص وتطبيقات الويب 2.0 التفاعلية ؟
- هل يمكن أن تكون تطبيقات الويب التفاعلية أداة للتغير ؟
- ما دور تطبيقات الويب التفاعلية في الحراك المجتمعي العربي بدايات 2010م، وأواخر 2011م ؟

- ما هي محددات التغيير السيوسولوجي في الحراك العربي المجتمعي ؟
- هل توجد سياسات مقصودة وراء تطبيقات الويب التفاعلية ؟
- هل الأمر ينتهي عند 2.0 أم إن تطبيقات الويب التفاعلية مستمرة في إنتاج المزيد من التطبيقات ؟
- هل يمكن أن يؤدي الويب وتطبيقاته التفاعلية إلى تأسيس وبناء - علم اجتماع جديد - خاص يهتم بهذه التطبيقات التفاعلية ؟
- هل يمكن الاستفادة من تطبيقات الويب 2.0 في تطوير رؤية وأهداف أقسام علم الاجتماع ؟

التغيير السيوسولوجي وعلم الاجتماع:

قبل البحث عن إجابات للسؤالات المطروحة، فإننا بحاجة إلى تحديد بعض المفاهيم؛ كي تسمح لنا بالربط والتنظيم بين مجموعات الحقائق، بحيث يمكن إدراك العلاقات بينها، وبهذا لا تصبح معارفنا مجرد جزئيات متناثرة، بل تُنظم في مجموعات مترابطة، كي تعمل المفاهيم على تبسيط العالم الواقعي من أجل تواصل وتفاهم يتسم بالكفاية، إضافة إلى كون هذه المفاهيم تساعدنا على تنظيم خبراتنا بصورة يسهل استدعاءها والتعامل معها (المفاهيم- الترية للجمع، 2008) من ثم، فإننا سنقوم بتحديد مفهوم التغيير السيوسولوجي، ثم تحديد مفهوم الويب 2.0.

في الحقيقة وبالرغم من أهمية موضوع التغيير السيوسولوجي في علم الاجتماع، إلا أنه لا يتم تدريسه ضمن مقررات أقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية، إنما يتم تدريس مقرر يحمل اسم التغيير الاجتماعي، في حين تقوم أقسام كليات الاقتصاد بتدريس موضوع التغيير كمقررات مثل إدارة التغيير، أو قيادة التغيير، أو التغيير التنظيمي، وبالتالي أليس من الأجدر أن تكون هناك حاجة إلى إضافة مقرر التغيير الاجتماعي في أقسام علم الاجتماع ؟ وذلك انطلاقاً من ارتباط التغيير مباشرة بالتغيير، كما أن مجتمعنا بحاجة ماسة إلى عمليات تغيير منظمة وخلاقة، نستطيع من خلالها تجاوز فجوات الواقع المتردي مقارنة بالمجتمعات المتقدمة، ومن ثم فنحن إمام مفهومين، هما: التغيير والتغيير، حيث يرتبط مفهوم التغيير

الاجتماعي بمفهوم التغيير الاجتماعي. ولتوضيح ذلك سنقوم أولاً بتوضيح ماهية التغيير الاجتماعي، لننتقل بعدها إلى توضيح التغيير الاجتماعي، حيث توصف المجتمعات الإنسانية بأنها في تغير دائم، فعالم اليوم ليس هو عالم الأمس، فالعالم اليوم تتعدد فيه المؤثرات وتتنوع أشكال المنافسة فيه، وتتهار الفواصل الزمنية والمكانية بين الدول والمجتمعات، فالحدود المادية بين الدول والمجتمعات لم تعد تؤثر على الأعمال، كما كان الوضع بالأمس، ويعزى الفضل في انتشار مفهوم التغيير الاجتماعي إلى وليم أوجبرن عندما نشر كتابه التغيير الاجتماعي 1922م، (أحمد عبد الجواد ، 1983، 120)، حيث رأى أن التغيير الاجتماعي ظاهرة عامة ومستمرة ومتنوعة ولا حاجة لربطها بصفة معينة، ومن هنا وجد في اصطلاح التغيير الاجتماعي مفهوماً متحرراً من القيم، كما أن معدل التغيير قد يختلف من مجتمع إلى آخر في اتجاهه، أو في معدلته، كما أن للتغيير آثاره الاجتماعية، قد تكون سلبية أو إيجابية، وقد تمتد لتشمل كل أنشطة الحياة الاجتماعية، ومن ثم وحسب هذا التعريف، فإن المجتمع قد يُصاب بحالة من عدم الاتزان، وبالتالي قد يحتاج إلى فعل آخر لإعادة ذلك التوازن، أو التكيف معه، لذا فنحن في حاجة إلى فعل لإعادة التوازن أو التكيف مع التغيير، وهذا الفعل يُسمى التغيير، ومن ثم أصبح لدينا مفهوم جديد هو التغيير، وهو يعني فعلاً وعملاً مقصوداً، يحتاج إلى وجود خطة وبرامج، إضافة إلى الجهد والوقت، فالتغيير قد يكون تلقائياً، أو رجعياً أو جذرياً أو جزئياً، وقد تكون أسبابه طبيعية، أو سكانية، أو أيديولوجية، أو ثقافية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو حروب، أو تكنولوجيا، أما التغيير فهو عملية مقصودة الهدف فالتغيير الذي حدث للمجتمع الأندونيسي مثلاً بعد إعصار سونامي، حيث تطلب القيام بعمليات تغيير من قبل الحكومة لتجاوز الأزمة، والأمر كذلك بالنسبة للمجتمع الياباني بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تطلب القيام بعمل التغيير لتجاوز الهزيمة، فالتغيير إذن عملية إرادية مقصودة قد يقوم بها فاعلٌ ما داخلي أو خارجي؛ بغية أن يغير في المجتمع شيئاً معيناً (يناس بنافي ، 2013)

ما المقصود بالويب 2.0؟

بعد تعريف مفهوم التغيير السوسولوجي فإننا بحاجة إلى توضيح ماهية الويب 2.0 ، من ثم فإن السؤال المطروح: لماذا تسمية الويب 2.0؟ وهل يعني هذا بأننا أمام جيل من

التطبيقات؟ وهل يوجد ويب 1.0 مثلاً؟ في الحقيقة فإنه قبل ظهور مصطلح الويب 2.0، كان هناك ما يُسمى بالويب 1.0 إضافة إلى الويب 1.5، والويب 1.0 يتضمن صفحات ثابتة غير تفاعلية، ونادراً ما يتم تحديثها (محتوى ثابت)، فهي مواقع للقراءة فقط، بعد ذلك جاءت الويب 1.5، وهي عبارة عن "الويب الديناميكية"، والتي تُنشأ فيها صفحات شبكة الإنترنت فوراً من محتويات قواعد البيانات باستخدام نظم إدارة المحتويات، ثم برزت بعد ذلك إصدار جديدة من الويب هي الويب 2.0، والتي تعتبر مستخدم الإنترنت عنصراً فاعلاً يساهم في إنتاج محتويات المواقع واستشارتها وبها، ويتيح هذا التغير تجميع المستخدمين في مجتمعات، وتسهيل وتبادل نشر المعلومات، ومن ثم فهو يُعطي مساحة تتيح للمستخدمين إنشاء ومشاركة المعلومات على الإنترنت، وتمكنهم من التعاون والمحادثة والتفاعل، وبذلك يُشير مصطلح الويب 2.0 إلى جيلٍ ثانٍ من الويب، حيث تحول الويب من أداة للنشر إلى منصة تعاونية، تتيح من خلال الأدوات التعاونية أو الشبكات الاجتماعية التعاون والمشاركة بين المستخدمين، وتبادل المحتوى عبر الإنترنت (صلاح الصاوي، 2018، 212) فالويب أصبح يُنظر له كمنصة وكيئة إبداع وعمل متكاملة، يتفاعل خلالها المستخدمون مع بعضهم من خلال الشبكة، فالفقضية لم تعد علاقة مستخدم بشري بالة هي جهاز الحاسوب، بل علاقة مستخدم بمستخدم آخر، أي البشر ببعضهم البعض من خلال هذه البيئة، وباستخدام الكمبيوتر كأداة لهذا التواصل الإنساني، وقد سمُعت كلمة الويب 2.0 لأول مرة في دورة نقاش بين شركة أورالي (O'Reilly) الإعلامية المعروفة، ومجموعة ميديا لايف (medialive) الدولية لتكنولوجيا المعلومات في مؤتمر تطوير الويب، الذي عقد في سان فرانسيسكو في أكتوبر 2004، الكلمة ذكرها نائب رئيس شركة أورالي (Dale Dougherty) في محاضرة الدورة للتعبير عن مفهوم جيل جديد للإنترنت، ومنذ ذلك الحين اُعتبر كل ما هو جديد وشعبي على الشبكة العالمية نجاًً من الويب 2.0، (أفنان المحيسن، 2008) والسؤال المطروح حالياً: ما هي مميزات الويب 2.0؟

يمكن تحديد عدد من مميزات الويب 2.0 بالمقارنة مع الويب 1.0، وهذه المميزات هي :

1- الاتصال الفائق السرعة.

- 2- خفض التكاليف.
 - 3- المرونة تتيح للمستخدم الاختيار بين تطبيقاته المختلفة.
 - 4- سهولة وسرعة الوصول للمعلومات في أي وقت ومن أي مكان عند الحاجة إليها.
 - 5- تقليل الوقت والجهد المبذول للحصول على المعلومات من خلال تقاسم جهود المستخدمين.
 - 6- اختلاف طرق استخدام المعلومات والممارسات وتموئها في التكنولوجيات الجديدة.
 - 7- تطور أساليب وأنماط الاتصال التفاعلي
- إذن بعد استعراض مميزات الويب 2.0 فنحن في حاجة إلى معرفة خصائصه ، ومن ثم فالتساؤل التالي يبحث عن تلك الخصائص، حيث يمكن تحديدها في التالي: (أفنان المحيسن ، 2008)
- 1- السماح للمستخدمين باستخدام برامج تعتمد على المتصفح/الموقع فقط؛ لذلك فإن هؤلاء المستخدمين يستطيعون امتلاك قاعدة بياناتهم الخاصة على الموقع، بالإضافة إلى القدرة على التحكم بها.
 - 2- السماح للمستخدمين بإضافة قيم لتلك البرنامج المعتمدة على المتصفح .
 - 3- السماح للمستخدمين ليعبروا عن أنفسهم، واهتماماتهم وثقافتهم.
 - 4- تقليد تجربة المستخدمين من أنظمة التشغيل المكتبية من خلال تزويدهم بميزات وتطبيقات مشابهة لبيئاتهم الحاسوبية الشخصية.
 - 5- تزويد المستخدمين بأنظمة تفاعلية، تسمح بمشاركةهم في تفاعل اجتماعي.
 - 6- السماح للمستخدمين بتعديل قاعدة البيانات من خلال إضافة، أو تغيير، أو حذف المعلومات.

وفما يتعلق بأهم تطبيقات الويب 2.0، فهي :

- الشبكات الاجتماعية. Social Networks
- المدونات. Blogs
- التقنية. RSS
- محركات التشارك الاجتماعية. Wiki
- نشر الصوت والفيديو عبر الويب. Web casting
- السحابة الإلكترونية. Cloud Computing

هل تطبيقات الويب التفاعلية أداة للتغيير السيوسولوجي ؟

إن موضوع وتطبيقات الويب التفاعلية ودورها في التغيير يطرح تساؤلات عديدة، منها ما هو فلسفي، يتساءل عن طبيعة هذا التغيير، ومنها ما هو سيوسولوجي يتساءل في ذات التغيير نفسه، ويُعرف أندريه سيجفريد، التقنية بأنها: " مجموعة من الإجراءات القائمة على العقل ولكنها اختُبرت بالممارسة، وأصبحت تُشكل الملكية الجماعية للحضارة التي نستعمل من خلالها وبفعالية مجموعة من الأدوات؛ بغية بلوغ الهدف المرجو " (جيل فيريول، 2011، 169)، إن التقنية التي أنتجت التطبيقات التفاعلية أحدثت تغييرات في نمطية التفكير، ومن ثم فإن هذه التطبيقات تطرح فرصة للتدبر والتأمل حول طبيعة التغيير الناجم عن استخدام تطبيقات الويب التفاعلية في المجتمع العربي، وبشكل عام فإن إنتاج أهم التطبيقات التفاعلية التي لعبت دوراً في الحراك المجتمعي العربي، كانت على النحو التالي:

■ في العام 2004م تم إنتاج التطبيق التفاعلي (الفيسبوك).

■ في عام 2005م، تم إنتاج تطبيق (يوتيوب).

■ في العام 2006م تم إنتاج تطبيق (التويتر).

لذا فقد اتسمت مرحلة ما بعد 2004م، بزيادة اتساع استخدام الإنترنت في المنطقة العربية، واتسعت دائرة المشهد الافتراضي، وأصبحت هذه التطبيقات بمثابة نقلة ثورية في

ميدان التواصل، حيث أصبح بعض تلك التطبيقات التفاعلية أداة احتجاجية ضد سياسات الأنظمة العربية، سواء اكانت هذه السياسات داخلية، كمشاكل البطالة، وفشل المشاريع التنموية، أم خارجية، كالمواقف اتجاه الاحتلال الأمريكي للعراق، أو المواقف اتجاه الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، أو الموقف اتجاه مشروع الشرق الأوسط الكبير.

حيث بدأت دلالات التطبيقات التفاعلية تطفح على السطح المجتمع العربي، بظهور فكرة التدوين على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، وتعتبر المدونات من أهم تقنيات الويب 2.0 حيث وجدت انتشاراً هائلاً لدى المستخدم العربي، والذي كان سببه سهولة الاستخدام، كما ساهم التدوين في نضوج تجربة المستخدم العربي، وأصبح لديه القدرة على التعاطي بشكل جيد مع تطبيقات الويب التفاعلية، كما امتلك عدد من المستخدمين القدرة على التفاعل والتفكير والتحليل، حيث كان هناك إقبال كبير من الشباب على فكرة إنشاء مدونات، والتي أخذت أشكالاً احتجاجية، خصوصاً إزاء المواقف العربية من حرب لبنان 2006م، كما أصبحت هناك حركات احتجاجية افتراضية، تقوم بتأسيس روابط بين المدونات، وذلك حسب القضية أو التوجه، وظهرت شعارات تطالب بالإصلاح والتغيير في المجتمع العربي، مثل: أدون من أجل الحرية، أو أدون من أجل العدالة، أو مدوني الإصلاح، أو غيرها من الشعارات، ومن المشاهد التي لا تزال حاضرة في ذاكرتي، أنني في العام 2006م، قمت بكتابة خاطرة على أحد المواقع، وفجئت ما كتبه حاضراً على جدار تلك الصفحة، وبعدها كانت تلك الخاطرة محاطة بعدد من التعليقات والردود المؤيدة، وأخرى معارضة، من قبل عدد من المتفاعلين، مما جعلتني أشعر بالدهشة والانبهار، ولم أكن أعلم آنذاك أنني أمام تقنية جديدة، وهي الويب 2.0، التي تعبر في مضمونها عن تجليات العولمة من خلال تدفق الأفكار والأشخاص دون حدود، حيث أصبح كل مستخدم للتطبيقات التفاعلية يعيش في الساحة الخلفية للآخر أكثر مما كان عليه في السابق، ويتفاعل خلالها المستخدمون مع بعضهم، وتتيح لهم المشاركة الديناميكية في صنع المحتوى الرقمي من خلال علاقات عمل افتراضية، لينتقل المستخدم من الاستهلاك إلى الإنتاج، وخلال الحرب الإسرائيلية على غزة سنة 2008م، كانت المواقع والصفحات التفاعلية أداة فعالة في فضح ممارسات الجيش الإسرائيلي، حيث تم استحداث العديد من

المنتديات والصفحات التفاعلية ضمن مواقع الويب 2.0، والتي تدعو إلى الاحتجاج والتضامن العربي مع أهل غزة، وفضح الممارسات والانتهاكات الاسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني أمام الرأي العام العالمي، كما خرجت منتديات ومدونات حول نصره أهل غزة، وفك الحصار عن غزة.. إلخ، كما اتسمت مرحلة ما بعد 2008م، ببداية استئثار مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك بجمهور الشباب في المجتمع العربي، كما تزايدت أعداد المتفاعلين في فضاءات الويب المتنوعة، واتسعت دائرة المشهد الافتراضي مع استخدام تطبيقات التفاعلية في الفيسبوك، حيث يمتلك هذا الموقع إمكانات تنظيمية عالية، ويعمل كالشبكة التي تمتد بامتداد عضويتها، فمجرد إعجاب المستخدم بالصفحة على الفيسبوك بالضغط على زر الإعجاب؛ فإن الفيسبوك يعتبر الصفحة والشخص أصدقاءً، وبالكتابة على الصفحة تصل التعليقات إلى المستخدم دون حاجته لزيارة الصفحة، مما يعني فكرة الانتشار، وبالتالي أصبحت صفحات التفاعلية أشبه بالمنتج الذي يروج له كل من يحبه، (وائل غنيم ، 2012، 120). وهنا تظهر لنا عملية التبادل الافتراضي من خلال المواءمة والتوافق والمشاركة في القيم والمعاني، حيث يصبح سلوك المستخدمين هو سلوك اجتماعي افتراضي يتخذ غالباً شكل التبادل الافتراضي مع الآخرين، ويأتي على شكل تبادل الدعم العاطفي والافغالي الافتراضي، وهذه التبادلات الافتراضية قد تتخذ بمرور الوقت شكل تنظيمات أو مجموعات اجتماعية افتراضية، تعمل على تحقيق ما تمت المواءمة والتوافق عليه من خلال الخروج إلى تضاريس الواقع، حيث أصبح استخدام شبكات التواصل الاجتماعي أداة للاحتجاج والتضامن العربي، حيث أثر الفيس بوك مثلاً : في الحياة السياسية في مصر، خاصة بعدما أنشأت مجموعة على الموقع دعت فيها إلى إضراب يوم 6 أبريل 2008 وشارك في هذه المجموعة أكثر ألف 71 شخص ، حيث قامت الحكومة المصرية باعتقال الناشطة إسماء عبدالفتاح، صاحبة كبرى الصفحات الداعية للإضراب على الفيسبوك آنذاك، (وائل غنيم ، 2012، 66). وكان لإنجاح هذه الدعوات أثر في طرح العديد من المبادرات والتحركات الاحتجاجية، وبالفعل قامت الحركات الاحتجاجية بالاستفادة من قدرات الفيس بوك التنظيمية، وخرجت الدعوات التي طالبت بضرورة إحداث إصلاح وتغيير في أنظمة الحكم، إضافة إلى العديد من الأفكار حول ضرورة الاتفاق

على رؤية وأهداف هذه الحركات قبل انطلاقتها، وتشابكها مع تضاريس المشهد الواقعي الاجتماعي.

إذن وبشكل عام، أظهر ويب 2.0 بأنه يُشكل أداة أو وسيلة لإحداث التغير من خلال اتساع دائرة المشهد الافتراضي، وتشابكها مع تضاريس المشهد العربي الواقعي، كما بين من جهة أخرى قدرة المستخدم العربي على إدارة فضاءات التواصل والتفاعل في المجتمع الافتراضي، فالمستخدم في ويب 2.0، ربما يخرج بشخصيته الحقيقية، من خلال كتابة اسمه ووضع صورته، ليتواصل بشكل متكرر ومكثف مع مجتمعه الحقيقي، ويعرض تجاربه ويبدى آراءه الشخصية، مما يؤدي إلى جعل الواقع الحقيقي الذي يعيشه ينزل بكل تفاصيله إلى الويب، 2.0 بدلاً من أن تصعد هي إليه.

تطبيقات الويب التفاعلية، والحراك المجتمعي العربي بدايات 2010م، وأواخر 2011م ؟

يحاول علم الاجتماع تفسير السلوك الإنساني الذي يصدر عن الأفراد الذين يقومون بالتواصل، أو الذين يستجيبون له، كما يهدف إلى الكشف عن الصلات التي تربط النظم التي تُكَوّن المجتمع في ظل الأنساق الاجتماعية المختلفة، كما أنه يصف التغير الذي يطرأ على هذه الأنساق الاجتماعية، إذ تكمن إحدى مهامه الأساسية في الاستجابة للتحوّلات التي يشهدها العالم المعاصر، كما أنه يسعى إلى تفسير طبيعة النظام الاجتماعي والتحوّلات التي تطرأ عليه، (جيل فيريول، 2011، 5). ومن ثم يهتم علم الاجتماع بدراسة ما ينبج عن تطبيقات الويب التفاعلية من علاقات، أو ما قد تحدّثه من تغييرات، حيث كان لتجليات العولمة دوراً في الحراك المجتمعي العربي، وذلك من خلال أهم تجلياتها، وهو الويب 2.0، والذي ساهم في عمليات التهيئة، والحشد، والتأييد، واختصار المسافات، وافتتاح العالم على بعضه بعضاً، حيث كان لهذا الانفتاح الأثر الأكبر على المستخدم العربي، ومعرفة حقوقه، سواء كانت الحقوق المدنية أم السياسية، أم الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، كما استدعى استخدام تطبيقات التفاعلية محدّدات جديدة، مثل: حق التعبير، والشفافية، والنزاهة... إلخ. وفي ظل إخفاق الأنظمة الحاكمة في التعامل مع هذه المحدّدات، أو إنكارها، بدأ يُطرح خلال هذه المرحلة سؤال حول مدى استعداد الأنظمة العربية لقبول ومن ثم التعامل مع تلك المحدّدات واستحقاقاتها، ولكن تلك الأنظمة في الحقيقة لم تتعاطَ

بشكل جدي مع استحقاقات المرحلة، حيث كان هدفها محاولة الإبقاء على الأوضاع كما هي، أو الالتفاف عليها، حيث أصبحت تلك الأنظمة أشبه (بمحرك) حيث تدفع بعض أجهزتها إلى الأمام، بينما تدفع به الأخرى إلى الخلف، ومن ثم ساهمت في تعرض محركها للتلف.

وكرد فعل لتلك الإخفاقات بدأت العشرات وربما المئات من المواقع والمدونات تطالب بضرورة الإصلاح والتغيير، وإحداث تحولات اجتماعية - سياسية - اقتصادية؛ لتواكب التحولات المعرفية، ويمكن تحديد أهم المطالب في التالي:

■ المطالبة بإصلاحات ديمقراطية.

■ الشفافية والنزاهة في المعاملات الحكومية.

■ تسهيل إنشاء منظمات وحركات المجتمع المدني.

كما أدت هذه الإخفاقات من جهة أخرى إلى تزايد أعداد المستخدمين للصفحات التفاعلية، حيث يتشاركون في تفاعل اجتماعي رقمي بشكل ما، له خصائصه التكنو- اجتماعية، والذي ساهم في تكوين حراك مجتمعي افتراضي، فشكّلت الصفحات التفاعلية ساحات للنقاش حول القضايا المجتمعية المشتركة، حيث تُدخل المستخدمين في حالة حوار حول بعض القضايا، أو الإشكالات التي يهتمون بها، فدعمت بذلك مفهوم الديمقراطية الافتراضية، وذلك من خلال المشاركة بين المستخدمين وإعطائهم مساحات تُتيح لهم تبادل الرأي والمعلومات حول القضايا والإشكالات الخلافية، وتدفع بهم نحو تقريب وجهات النظر، كما تُتيح لهم المشاركة في اتخاذ القرارات الخاصة بالصفحات وإدارة شؤونها، كما عبر هذا التفاعل عن الوعي الجماعي الافتراضي، الذي هو عبارة عن مجموعة من المعتقدات والمشاعر التي يتقاسمها متوسط أعضاء المجتمع الافتراضي، (جيل فيربول، 2011، 62). وبالفعل قامت الحركات الاحتجاجية بالاستفادة من قدرات الويب 2.0، وخرجت الدعوات التي طالبت بضرورة إحداث إصلاح وتغيير في أنظمة الحكم، إضافة إلى العديد من الأفكار حول رؤية وأهداف هذه الحركات قبل انطلاقها إلى أرض الواقع، كما شملت أيضاً الاتفاق على الكثير من الأمور، مثل زمان ومكان التجمع على الواقع، فمثلاً يذكر وائل

غنيم، في كتابه الثورة 2.0 "في إشارة إلى دور الويب 2.0، بأن صفحة "كلنا خالد سعيد" حين أنشأها على موقع الفيسبوك، انضم إليها (300) مشترك في دقيقتين، وبعد ساعة وصل العدد إلى (3000) مشترك، (وائل غنيم ، 2012 ، 99). كما لعبت صفحته دوراً جوهرياً في عملية التعبئة ضد النظام السياسي في مصر، كما يُبين بأنه كتب على الصفحة مطالباً بتغيير النظام؛ ليكون 25 يناير ثورة على التعذيب والفقر والفساد والبطالة ". كما كتب أيضاً " النهار ده يوم 14 ... ويوم 25 يناير هو عيد الشرطة يوم أجازة رسمية، لو نزلنا 100 ألف واحد في القاهرة محدش هيقف قصادنا ... يا تري تقدر)، (وائل غنيم ، 2012 ، 215). ومع اعتقال وائل غنيم وحتى يوم خروجه، وصل عدد المتفاعلين مع صفحته 500 ألف مشترك، وفي ليبيا تم تحديد يوم 17 فبراير موعداً لانطلاق الحراك المجتمعي من خلال الصفحات التفاعلية الفيسبوك، وما إن وصلت الدعوة إلى المتفاعلين، حتى حصلت على الحشد والتأييد الواسع، خصوصاً في قطاع الشباب، حيث لعبت صفحة "انتفاضة 17 فبراير.. لنجعله يوم للغضب في ليبيا" على فيسبوك، التي أسسها حسن الجهمي دوراً في عمليات الحشد والتأييد، كما أصبحت رمزاً للحراك المجتمعي في ليبيا، حيث يقول الجهمي "أنشأت صفحة انتفاضة 17 فبراير - لنجعله يوماً للغضب في ليبيا ، وذلك في يوم 28 يناير ووصل عدد مشتركها إلى 150.261 ألف مشترك، ولم أكتب اسمي عليها حتى لا يعرف النظام من أين تأتي العاصفة" (صحيفة الشرق الأوسط، 2011)، كما قامت مواقع الفيديو، مثل يوتيوب بدور فعالٍ خلال الحراك المجتمعي، حيث نقلت حقيقة ما يحدث في العالم الواقعي، وذلك على شكل مقاطع فيديو من الواقع الحقيقي إلى الواقع الافتراضي، ليساهم بذلك كوسيلة تنقل بالصوت والصورة المشاهدات الحية، وليكشف عن ممارسات الحكومات الحاكمة اتجاه الحراك المجتمعي الواقعي، ولتوسع من دائرة المشهد الافتراضي، لتتشابك مع تضاريس المشهد الواقعي الاجتماعي.

ويمكن تحديد محددات هذه المرحلة بالآتي :

- الاستعانة بالتطبيقات التفاعلية في توجيه الدعوة، ومن ثم الحشد والتأييد.
- تكوين مجتمع افتراضي ضم العديد من الأفراد، وقد وصل في بعض الأحيان إلى عشرات الآلاف من خلال تفاعل اجتماعي رقمي له خصائصه التكنو- اجتماعية.

- عدم وفقة هوية المشاركين سياسياً وحزبياً.
 - المطالبة بإحداث تغييرات وإصلاحات جزئية للأئظمة الحاكمة.
 - تم تحديد زمان ومكان انطلاق الاحتجاج الواقعي قبل انطلاقه بعدة أيام.
 - تم تتعاط معظم الأئظمة الحاكمة مع دعوات هذه الحركات بشكل جدي، وجل ما قامت به هو مضاعفة الرقابة على المواقع والصفحات التفاعلية.
 - أما آلية عمل الأئظمة العربية مع الحراك المجتمعي الافتراضي خلال هذه المرحلة، فيمكن تحديده من خلال الآليات التالية:
 - مراقبة الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) وخصوصاً المواقع والصفحات التفاعلية.
 - أعمال اعتقال لبعض مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، وخصوصاً فئات الشباب.
 - بروز عمليات التخريب والقرصنة على مواقع التواصل الاجتماعي.
 - التشكيك في الحراك المجتمعي الافتراضي.
- بعد ذلك انتقل الحراك المجتمعي من الواقع الافتراضي إلى تضاريس الواقع، وبدأت معه بداية الفعل الواقعي، والتي بدأت مغلّال التجمع في أماكن محددة مكاناً وزماناً سلفاً، حيث حمل هذا الحراك معه فاعلاً اجتماعياً جديداً، وهم الشباب الذين عبروا عن رفضهم للواقع الحياتي والمعيشي المتردي، وفي المقابل جابهت الأئظمة العربية الحراك المجتمعي بارتفاع ونيرة استخدام القوة الأمنية، وبشكل مفرط، في محاولاتها الرامية إلى إجماض ذلك الحراك، كما عكس من جهة ثانية حالة من القلق المتزايدة من قبل الأئظمة العربية من ناحية استفحال خطر تلك الحالة المجتمعية، ومن ثم احتمال تنامي قدرتها وإمكاناتها فيما يتعلق بتحقيق أهدافها، كما طُرحت عدة تساؤلات أو تحديات حول طبيعة التجمع الافتراضي، الذي يفتقر إلى وجود ثقافة مشتركة، والذي أنتج بدايةً حراكاً افتراضياً، ومن ثم أنتج حراكاً واقعياً على تضاريس الواقع، من هنا نسال: هل من الممكن أن ينتج هذا الحراك

مجتمعاً مترابطاً وقوياً؟ وهل في وسع هذا الحراك أن يتغلب على انعدام التكيف الاجتماعي الواقع ما بين أطرافه؟ وهل يستمر ترابط الحراك المجتمعي ضد الاستبداد والدكتاتورية في تضاريس الواقع أم تخف حدتها بعد سقوط الاستبداد والدكتاتورية أم أن الوضع سيؤدي إلى الصراعات التي قد تؤدي إلى تفتيت المجتمع؟ ومن ثم فإن التحديات التي تواجه الحراك المجتمعي الواقعي ليس في بناء نظام ديمقراطي وحسب، إنما تكمن في عملية بناء الثقة المتبادلة في تضاريس الواقع، وكذلك الاتفاق على مشروع وطني، ومن ثم تعليم الأفراد روح المسؤولية، وتدريبهم على الخضوع للقانون الواحد بعيداً عن الفوضى واللاإستقرار، والتي لن تؤدي إلى بناء نظام سياسي، إضافة إلى تعويدهم على التعاون والعمل الجمعي، وتنمية روح التكافل والتضامن والتسامح فيما بينهم، أي مساعدتهم على تضاريس الواقع على أن يفكروا ويعملوا كجماعة واحدة، مثلاً كانوا عليه في المجتمع الافتراضي، مما يستدعي بناء روح جماعية وأسلوب مشترك في التفكير والعمل والتنظيم والممارسة، وليس تغييراً من أجل التغير وحسب.

ما أهم التغيرات التي رافقت استخدام الويب 2.0 في الحراك العربي المجتمعي؟

يمكن رصد عدد من التغيرات التي رافقت استخدام الحراك المجتمعي العربي لتطبيقات الويب خلال مرحلة أواخر 2010م، وبدايات 2011م، حيث تميز استخدام ويب 2.0 بالتفاعلية المستمرة بين المستخدمين في فضاءات الويب المتنوعة، فالأفكار قد تنتشر بشكل سريع، وقد تتفاعل مع المستخدمين لتعود، وقد حُمِلَت معاني وكلمات جديدة، لتكون أكثر قوة، كما أنها قد تحتفي وتُرفض من قبل المستخدمين، وبشكل عام يمكن رصد أهم تلك التغيرات التي رافقت الحراك المجتمعي في التالي :

■ أصبحت الشبكات الاجتماعية المتاحة للجميع، وبدون قيود اجتماعية، أو تدرج أو تباين اجتماعي، حيث أصبحت تجمع الكبار مع الشباب، المدينة مع الريف، العاطل مع الشغل، النساء مع الرجال، المتعلمين مع الأقل تعليماً، فتشكلت علاقات اجتماعية في تلك الفضاءات بلا قيود ولا حدود؛ لتعلن بدايةً لنشوء مجتمع افتراضي متجرد من قيود المجتمع الواقعي وتقاليده وعاداته، قد تجمع ما بين أفرادة فكرة، أو هدف معين، ولتنتهي بذلك أي نوع من المعايير التي تحكم المجتمع الواقعي

في تكوين علاقاته، وهو الأمر الذي يشكل تفكيكاً لبنيات المجتمع، والتي تعني بالضرورة تخطيط قيود المجتمع ومؤسسات الضبط الاجتماعي القديمة.

■ لعل تغيير الأنظمة السياسية الحاكمة يُشكل أهم التغييرات، وكذلك التغييرات في طبيعة الإعلام السياسي، كما طرحت هذه التغييرات تساؤلات عن موازين القوى داخل المجتمع، فهل أصبحت القوى فعلياً بأيدي المستخدمين على صفحات التفاعلية؟

■ بروز مفهوم الفوضى الخلاقة على تضاريس الواقع، وهو المفهوم الذي طرحته وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس، والذي تتأسس نظرياً على ثنائية التفكيك والتركيب، فني مقابلة معها في صحيفة واشنطن بوست بتاريخ: 22 - 4 - 2005 م، ردت على سؤال حول التفاعلات التي تموج بها المنطقة بأنها تترك مجالاً آخر سوى الاختيار بين الفوضى أو سيطرة الجماعات الأصولية المتشددة على السلطة، ولن تؤدي بالضرورة إلى انتصار الديمقراطية، فكان ردّها: بأن الوضع الحالي ليس مستقرّاً، وأن الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية هي من نوع الفوضى الخلاقة، التي ربما تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه المنطقة حالياً، كما تهدف هذه النظرية بحسب مايكل ليدن، العضو البارز في معهد أميركان انتربرايز، إلى إجراء حملة طويلة من "الهندسة الاجتماعية" وأن التدمير البناء هو، صفتنا المركزية، ومن ثم بحسب وجهة نظره، فإن "الوقت قد حان لكي تُصدر الثورة الاجتماعية، من أجل إعادة صياغة المنطقة العربية عبر تغيير ليس النظم فقط، بل والجغرافية السياسية كذلك، انطلاقاً من رؤية خاصة تقود إلى "تصميم جديد لبناء مختلف (سمير ناصر، 2006)، وبالتالي التساؤل المطروح: هل أصبحت الفوضى الخلاقة طريقاً تم اعتماده بعد أن كانت مجرد نظرية؟ وهل شكلت الصفحات التفاعلية مسرحاً افتراضياً لنظرية الفوضى الخلاقة، بغية إحداث تغيير في المنطقة؟ وهل شكلت تطبيقات الويب 2.0 بداية تحريك الركود والجمود السياسي في المنطقة؟

أعتقد تساؤلات تحتاج إلى وقفةٍ وتدبر.

- أصبحت التطبيقات التفاعلية وسيلة للتعبير عن تحقيق الذات وحاجاتها الوجدانية والتواصلية التي عجزت عن تحقيقها الأنظمة العربية، حيث وفرت لشعوب المنطقة فرصة إضافية للتواصل والتعارف، ولاستثمار القدرات الكامنة في الذات، ولتنمية المهارات والتحاور مع الثقافات المختلفة، وهو ما يؤدي إلى ترسيخ وتقبل الآخر بعد فهمه شيئاً فشيئاً من خلال الحوار والنقاش المتبادل، بعيداً عن هويات وسياسات الأنظمة الحاكمة الاقصائية والمتمركزة حول حفظ ذات النظام.
- جعلت المستخدم العربي منفثاً على كل ما يجري في العالم الخارجي من أحداث وتطورات في شتى المجالات، كما أصبح باستطاعة المستخدم العربي أن يرسل ويستقبل ويتفاعل ويعقب ويستفسر ويعلق بكل حرية وبسرعة فائقة.
- إعطاء بُعد افتراضي للمفاهيم الاجتماعية المتعددة، كالعلاقات الاجتماعية، والاتصال، والمشاركة الاجتماعية، كما ظهرت مصطلحات جديدة، مثل: المجتمع الافتراضي العربي، الديمقراطية الإلكترونية، وديمقراطية وسائل الإعلام، وصحافة المواطن.
- تجاوز كل ما هو قائم من تشكيلات نخوية ومن ثم طرحت مفهوماً جديداً للنخبة الافتراضية، فمفهوم النخبة الذي كان يتضمن في معانيه تركز القلة (من الأفراد) في مواقع القوة، ولعب الدور الحاسم في التأثير على مجمل الأحداث للأنشطة، أو فعالية من الفعاليات (سياسية ، اقتصادية ، عسكرية ، ثقافية،..إلخ). حل محله مفهوم النخبة الافتراضية، والذي يتضمن عدداً كبيراً من مستخدمين ليس لديهم إمكانات اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، أو لديهم نشاط سياسي، كما أنهم لا يعرفون بعضهم، كما أن لغة التخاطب لم تعد لغة نخوية، إنما لغة بسيطة أقرب إلى العامة، بغية تجاوز أي حواجز ثقافية ما بين المتفاعلين.
- أصبح هناك مفهوم النضال الافتراضي ليحل محل النضال الواقعي، كما أنه لم يعد نموذج التغير مرتبطاً بالأشخاص، فأصبح هناك دور فضالي للمستخدمين خاصة بين صفوف الشباب، فبرز تيار شبابي لا يتبع الأحزاب السياسية أو التيارات الدينية أو الشخصيات المعارضة، ليقوم بعملية الانتقال من المجتمع الافتراضي إلى

تضاريس الواقع، ليُكسر بذلك حاجز الخوف، ويتحرك بشكل أكثر فعالية، ليفرض بعد ذلك التغيير على الواقع، لكن هذا التغيير اصطدم بانعدام وجود قيادة حقيقية على تضاريس الواقع لهذه القوى، إضافة إلى انعدام التأطير الفكري الواقعي لها، والأهم من كل ذلك هو افتقادها لكيان واقعي جامع يضمن كل قواها، حتى يُسهل عليها عملية تنظيم التغيير على الواقع، ومن ثم الإمساك بزمam المبادرة، لذا لم تستطع هذه القوى الوصول إلى الحكم بالرغم من قيامها بعملية التغيير، لتترك المجال للحجّام التيارات والأحزاب الأكثر تأطيراً وتنظيماً.

■ ترسيخ مفهوم الديمقراطية من خلال تمكين وإشراك المستخدمين في شؤون وإدارة الصفحات التفاعلية.

■ بالمقابل واجهت الأنظمة العربية هذه التطبيقات التفاعلية بإصدار المزيد من القيود والتشريعات التي تحد استخدامات الإنترنت، والرقابة عليه، من خلال السماح بالدخول لمواقع وصفحات معينة، في حين تصل مخالفة تلك التشريعات إلى حد المعاقبة بالتجريم والسجن.

■ في حين لم تعمل الأنظمة العربية على تطوير وتحسين آليات المخاطبة والتواصل مع أفراد المجتمع من حيث الاحتياجات، بل استمرت تخاطبه بعقلية الموصى عليه، فلا تزال وظائف تلك الوسائل في إطار الوظائف التقليدية، والتي تنبع من المحافظة على ذات النظام، حيث يتم استخدام تقنيات الويب 2.0، لغرض التعبئة السياسية والاجتماعية والثقافية لصالح النظام وتوجهاته الأيديولوجية، في حين لا تزال احتياجات المواطن وآماله تأتي في مرتبة متدنية من اهتمامات تلك الأنظمة، وبشكل عام يمكن القول بأن استخدام الأنظمة السياسية العربية لتقنيات الويب خلال مرحلة ما قبل الحراك المجتمعي لم ترتقِ إلى مستوى استحقاقات المرحلة من حيث تلبية احتياجات المواطن والتعبير عنها، بل كانت مجرد أدوات للتعبئة والتأييد للنظام من جهة، وللمحافظة والشحن العاطفي والنفسي من جهة أخرى.

هل توجد سياسات مقصودة وراء تطبيقات الويب التفاعلية؟

سبق وأن ذكرنا بأن الحراك المجتمعي العربي هو ناتج عن ظروف وأسباب داخلية، سواء كانت سياسية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم ثقافية، أم تكنولوجية، كما أنه إلى جانب هذه الأسباب هناك عوامل خارجية كان لها دور بحسب كل حالة من حالات الحراك، وبالتالي لا يجب إغفال الدور الخارجي للحراك، والذي قام بدور المُيسر في بعض الحالات، ومن ثم التساؤل المطروح هو:

■ هل كان وراء وجود هذه التطبيقات التفاعلية سياسات مقصودة من قبل المنتج أم أنها العولمة وتجلياتها هي التي دفعت وقادت إلى إنتاج هذه التطبيقات ؟

في الحقيقة أعتقدُ أن إنتاج التطبيقات التفاعلية يُشكل أحد تجليات العولمة، حيث تتأطر هذه التجليات بشكل رئيسٍ في ثلاثة مناحي سياسية واقتصادية وثقافية، يعاضد كل واحد منها التجلي التقني، الذي يعتبر أحد تكوينات العولمة الرئيسة (حمد باسل سليمان ، 2011)، ومن ثم يمكن القول بأن العامل الخارجي قام بتوظيف التقنية من أجل تحقيق أهدافه، بحيث سهّل شروط استخدام تلك التقنية للمستخدم العربي، ومن ثم استطاعت التطبيقات التفاعلية أن تكفل مجتمعاً افتراضياً واسعاً، ونظرة أشمل على العالم، وعمقاً في التواصل الإنساني الافتراضي، فاستقطب ذلك المجتمع الافتراضي الملايين عبر الصفحات التفاعلية بلغة سهلة وبسيطة، فكان هناك اندفاع نحو وسائلها، ليشكل بذلك حافزاً للمجتمع الافتراضي؛ لكي يخرج إلى تضاريس الواقع، وضغط على الأنظمة الحاكمة من أجل التغيير، كما يمكن رصد عدة إشارات تشير إلى دور المُيسر الداعم للحراك المجتمعي العربي، أهمها :

■ أكدت تقارير التنمية الإنسانية العربية ما بعد 2002م، أن كون العالم العربي يعاني مما يسمى بالفجوة الرقمية التي تفصل العالم العربي عن العالم المتقدم، (نبيل علي ، نادية المجازي، 2005: ص 26)حيث إن الواقع الإقليمي على وشك الدخول في مرحلة جديدة تتوارى فيها القوى العسكرية أو القوة الصلبة؛ لتبرز القوى اللينة، ويقصد بها مجموعة القوى الرمزية العلمية والفكرية والتربوية والإعلامية والتراثية والدينية، وما يضاعف خطورة هذا الخطر وجود شقوق وتصدع وفجوات في

الدول العربية تشتته، والتي زادت غوراً واتساعاً، (نبيل علي ، نادية الحجازي، 2005: ص 65) .

■ خلال قمة الثمانية في الولايات المتحدة عام 2004م، ركزت الإدارة الأمريكية على ما أسمته تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، وبناء مجتمع معرفي، وتوسيع الفرص الاقتصادية، حيث رأت هذه الإدارة بأنه طالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة فإنها ستشهد زيادة في التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة، وبررت الرؤية الأميركية الجديدة دواعي الإصلاح "بالتخلف الشديد" الذي تعيشه دول المنطقة، ولقد أبدت بعض الأنظمة العربية استعدادها في الانجرار نحو الرؤية الأمريكية، وقامت بإجراء عمليات طلاء ديمقراطي خارجي على منظومتها.

■ في العام 2005م صدر تقرير عن الخبير السياسي الأمريكي إدوارد جرجيان وعنوانه "دور الدبلوماسية الأمريكية بمعركة كسب العقول والقلوب"، وتقرير آخر بعنوان "من الصراع إلى التعاون: كتابة فصل جديد في العلاقات الأمريكية العربية"، وأصدرته لجنة استشارية، أشرف على عملها مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في واشنطن، وأبرز ما يطالب التقرير به هو تقوية العلاقات التبادلية مع الشعوب العربية من خلال المنح المتبادلة، والاستثمار في حيل القيادات العربية القادم، والهدف من ذلك هو السيطرة على الشعوب، وجعلها أداة بيد أمريكا، تنفذ ما تريده، سواء بالانقلابات أم بمعارضة مشاريع لدول كبرى غير أمريكا، أي جر الشعوب إلى تنفيذ مخططاتها وبذلك تتحكم بإرادة الشعوب، فأمريكا لم تعد تكنفي بالعمالة (حاتم الشامي ، 2006).

■ برزت خلال الفترة ما بين 2001-2006م عقد عدد من المنتديات عرفت باسم منتدى الدوحة للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة - برعاية أمريكية - ، حيث يتمحور أهدافه حول عمليات الإصلاح السياسي في الدول العربية ، كما طرح هذا المنتدى خلال تلك سنوات عدد من القضايا ، أهمها : آليات تعامل المعارضة العربية مع مشروع الشرق الأوسط الكبير، ودراسة الطرق و الوسائل المطلوبة

للاصلاح الديمقراطي، وتقييم مدى تأثير عملية التحديث على المجتمعات النامية، والمشاكل و العوائق التي تعترض طريق الإصلاح، و دور الإعلام العربي في عمليات الإصلاح.

■ كما برز أيضاً خلال الفترة من 2004- 2011م عقد منتدى آخر تحت تسمية "منتدى المستقبل" - برعاية أمريكية - حيث كان يعقد هذا المنتدى بشكل دورى في إحدى الدول العربية ، وكان اللقاء الأول في المغرب سنة 2004م، وبعد ذلك جرى عقده على التوالي في البحرين والأردن واليمن والإمارات، والمغرب مرة أخرى، وقطر، حيث كانت هناك مشاركات حكومية عربية بالإضافة إلى عدد من مؤسسات المجتمع المدني العربية، حيث وصل عدد المشاركين من المجتمع المدني 120 منظمة، وكان أهداف هذا المنتدى تتركز على ضرورة قيام الحكومات العربية بعمليات إصلاح سياسي، بإشراك منظمات المجتمع المدني في تلك العمليات، واعتبارها شريك فاعل ومهم ، وخلال المنتدى السابع في الدوحة 2011م أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية، بان شعوب المنطقة " سئمت من المؤسسات الفاسدة" والسياسات "الراكدة" مقابل تراجع الثروات المائية والنفطية، كما أكدت إن الذين يمتسكون بالوضع الراهن كما هو قد يتمكنون من الصمود أمام مجمل مشاكل بلدانهم لفترة قصيرة ولكن ليس للأبد" كما بينت أيضاً بأن هناك "آخرين سيملاؤن الفراغ" اذا ما فشل القادة في إعطاء رؤية ايجابية " للشباب وسبل حقيقية للمشاركة". (صحيفة أخبار الخليج، 2011)

■ تحدث الرئيس الأمريكي باراك أوباما، في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 25 سبتمبر الماضي 2014م، عن أن "الولايات المتحدة دعمت قوى التغيير في العالم العربي"، وذلك في محاولة منه لبيان أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتخل عن الشعوب العربية في حراكها، وهذا المعنى تردده دول عربية، مثل: قطر والسعودية، إضافة إلى دول الجوار، مثل: إيران وتركيا، اللتين تتبنيان سياسة خارجية داعمة للتغيير في المنطقة (صحيفة الأهرام ، 2014)

■ مع التأكيد على أهمية العامل الخارجي، إلا أنه لا يمكن للمتغيرات الخارجية مهما كانت قوتها أن تخلق ذلك الحراك المجتمعي ما لم تكن المتغيرات الداخلية تساعد على ذلك.

وبشكل عام يمكن القول بأن الويب 2.0 وتطبيقاته التفاعلية هي إحدى تجليات العولمة، وأن الأمر لن يتوقف عندها، بل إن تطبيقات الويب التفاعلية مستمرة في إنتاج المزيد من التطبيقات، فهناك حالياً الويب 3.0، وهي تطبيقات تُسمى ما بعد التفاعلية، ومن ثم فإن الحديث عن كون تطبيقات الويب 2.0 هي السبب في ذلك الحراك الذي يُعد إجماعاً كبيراً في حق الحراك المجتمعي العربي، ومحاولةً للابتعاد عن أسبابه الحقيقية.

لقد استفاد الحراك المجتمعي من إمكانيات وقدرات الويب وتطبيقاته التفاعلية، ووظفها من أجل تحقيق أهدافه، وهذا لا يعني التغاضي عن وجود دوافع وأسباب داخلية للتغيير، مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لدول الحراك المجتمعي، والتي تقاطعت مع مطالب سياسية، حيث ارتبط أهمية الويب 2.0، في مرحلة ما قبل التغيير، كونه أداة مسهلة وفاعلة ساهمت في تقريب وجهات النظر المتعارضة أحياناً بين المستخدمين للصفحات التفاعلية. حيث تمكن مستخدمون من أن يتبادلوا الآراء بطرق بسيطة وبلغة سهلة بعيداً عن التنظير الثوري في قضاياهم المجتمع، مما ساعد على خلق رأياً عاماً يُطالب بضرورة التغيير، حيث شكل الاستبداد والظلم والدكتاتورية نقطة التقاء بين كل المستخدمين في الصفحات التفاعلية، والتي تميزت بسرعة الانتشار وقلة التكلفة وشدة التأثير، كما توقف فرص نجاح هذه الأداة وهي الويب 2.0 على تسريع انتقال الحراك المجتمعي من الواقع الافتراضي إلى تضاريس الواقع الحقيقي.

هل يمكن أن يؤدي الويب وتطبيقاته التفاعلية إلى تأسيس وبناء - علم اجتماع جديد - خاص بهم هذه التطبيقات التفاعلية؟ وكيف يمكن الاستفادة من تطبيقات الويب 2.0 في تطوير رؤية وأهداف أقسام علم الاجتماع؟

خلال كتابتي لهذه المقالة تمكنت من الحصول على قوائم لعناوين رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، التي تم مناقشتها في عدد من أقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية، وهي :

- قسم علم الاجتماع -كلية الآداب - جامعة طرابلس.
- قسم علم الاجتماع -كلية الآداب - جامعة بنغازي.
- قسم علم الاجتماع بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا.

وكان الهدف من ذلك التحليل البيليوغرافي للإنتاج العلمي، والمتمثل في رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، بغية معرفة العلاقة بين تلك الموضوعات وقضايا وإشكالات المجتمع، خاصة موضوع الحراك المجتمعي في ليبيا، ومن ثم موضوع الويب 2.0، وعلاقته بالحراك، فمن خلال الاطلاع على كل عناوين رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، وعددها (237) عنواناً، تبين أنه لا يوجد أي عنوان يتناول دور التطبيقات التفاعلية في عملية التغير السوسولوجي، بالرغم من كون المواقع والصفحات التفاعلية على الويب 2.0 كان لها دور مهم في الحراك المجتمعي في ليبيا، والأغرب من ذلك أن جُل تلك الأقسام لم يتناول موضوع الحراك المجتمعي في ليبيا من قريب أو بعيد! وكأن تلك الأقسام تعيش في غيبوبة تامة عما يجري في الواقع المجتمعي المعاش، مما يبين ضعف مساهمات ذلك الإنتاج في تشخيص المشكلات التي يواجهها المجتمع، وهذا قد يؤشر إلى أن ممارسة العمل السوسولوجي في تلك الأقسام لم تتوفر فيها الشروط الأستمولوجية والاجتماعية التي تجعلها تأخذ على عاتقها قضايا وإشكالات الواقع المجتمعي المعاش، بحيث تسعى إلى تشخيصه وفهمه وتفسيره، ففي جامعة بنغازي بلغ عدد رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه 78 عنواناً، تم مناقشتها خلال الفترة منذ 1990-2015م، حيث توجد ثلاثة عناوين تتناول موضوع التقنية والإنترنت، وفي جامعة طرابلس بلغ عدد رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي تم مناقشتها 55 عنواناً خلال الفترة من 2000-2015م، وعدد العناوين التي تناولت التقنية والإنترنت ثلاثة عناوين فقط، أما الأكاديمية الليبية للدراسات العليا فبلغت عدد رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي تم مناقشتها 104 عنواناً خلال الفترة 2005-2015م، حيث لا يوجد أي عنوان له علاقة بالتقنية والإنترنت.

ر.م	العنوان	الجامعة	السنة
1	دور التقنية في تغيير بعض القيم الثقافية والاجتماعية	بنغازي	1991
2	التقنية " التكنولوجيا " وقيم الشباب " دراسة ميدانية لمعرفة مدى تغير بعض القيم لدى الشباب في الريف والحضر.	بنغازي	2002
3	استخدام شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وانعكاساته على درجة قوة العلاقات الاجتماعية	بنغازي	2008
4	المنظومة التكنولوجية للاتترنت: بحث تحليلي في آلية التقنية للإنترنت ونموذج منظومته الاجتماعية	طرابلس	2002
5	الأبعاد الاجتماعية والثقافية لثورة المعلومات في الوطن العربي: دراسة تحليلية نقدية	طرابلس	غير معروف
6	اتجاهات الشباب الجامعي نحو استخدام شبكة المعلومات الدولية للإنترنت "دراسة ميدانية لطلبة جامعة الفاتح سابقا"	طرابلس	2008

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بناء على معلومات وكشوفات تتضمن أسماء المتحصلين على الدرجات العلمية الماجستير والدكتوراه ، حيث تحصل عليها من قبل الجهات الثلاثة وهي: قسم الدراسات العليا -كلية الآداب - جامعة طرابلس 2015 وإدارة الدراسات العليا- جامعة بنغازي 2015 ومكتبة أكاديمية الليبية للدراسات العليا 2015م.

ومن ثم أعتقد بأن هذه المسألة تحتاج أيضاً إلى وقفة بغية البحث والدراسة، كما أن استعراض البيليوغرافي لتلك العناوين يطرح تساؤلات حول تهميش بعض ميادين البحث، أهمها النظريات الاجتماعية، والدراسات والبحوث المستقبلية، والبحوث في علم الاجتماع السياسي، وعلم الاجتماع المعرفي، وعلم الاجتماع الديني، إضافة إلى البحوث في العلاقات البيئة بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى، ومن ثم يمكن أن نطرح التساؤل التالي،

وهو : هل ساهمت هذه الرسائل والأطاريح في التعريف بقضايا إشكالات المجتمع وواقعه المعاش ؟ ومن ثم ما هو دور علم الاجتماع في تشخيص الإشكالات وصولاً إلى استشراف المستقبل ؟ اعتقد بأننا في حاجة إلى إعادة تعريف علم الاجتماع، وذلك بمراجعة وتطوير رؤيته وأهدافه ووظائفه في المجتمع.

وأخيراً يمكن القول بأن فضاءات التواصل والتفاعل مع الويب وعلاقته بالحراك المجتمعي العربي خلال الفترة الممتدة من أواخر 2010م، وحتى بدايات 2011م، قد تشكل فرصة لأقسام علم الاجتماع في الجامعات العربية لنقله من الغائب أحياناً والمتفجع أحياناً أخرى على جُلّ التغيرات السوسولوجية الحاصلة في المنطقة العربية إلى الشخص، والمنظر، والمفسر، من خلال تحفيز التفكير الناقد الخلاق في التشخيص، والفهم، وفي تحديد القواعد الإستمولوجية التي تحكم بناء الموضوعات السوسولوجية، ولتشكل أيضاً لبداية لإعادة تحديد الوظائف والأدوار التي ينبغي لعلم الاجتماع القيام بها في المستقبل العربي، كما ربما يساهم ذلك في السعي للانتقال بعلم الاجتماع من المستوى التقليدي إلى المستوى التجديدي، كما تبرز الحاجة أيضاً إلى استحداث علم اجتماع جديد - وهو علم اجتماع الويب- الذي يهتم بدراسة تطبيقات الويب بأنواعها كافة، وتأثير ذلك على المجتمع، ومن ناحية أخرى تبرز أيضاً أهمية تطوير المقررات الدراسية لعلم الاجتماع، بحيث يمكن تضمين موضوعات الويب ضمن المقررات الدراسية.

المراجع والهوامش

١. الكتب

- ١- أحمد رأفت عبدالجواد ، علم الاجتماع ، 1983، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة.
- ٢- جيل فيريل ، معجم مصطلحات علم الاجتماع ، 2011 ترجمة وتقديم أنسام محمد الأسعد ، دار ومكتبة هلال ، بيروت
- ٣- وائل غنيم ، 2012، ثورة 2.0 ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ط1.
- ٤- عبدالمطلب الهوني ، سيف القذافي مكر السياسة وبخيرية الأقدار ، 2015

ب. الدوريات:

- ١- علي، نبيل، و حمادي، نادية، 2005، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة ، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- ٢- صلاح الصاوي ، 2012، سات الويب 2.0، على مواقع الأرشفات والمكتبات الرئاسية على الإنترنت، مجلة مكتبة الملك فهد ، مج 18، ع 2- ذو الحجة 1433 هـ / مايو - نوفمبر 2012.

ج مصادر الإنترنت:

- ١- مولاي مولاي علي بوخاتم ، مصطلحات النقد العربي السبأوي افشالية والأصول والامتداد ، 2008
http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_docman&task=cat_view&gid=120&Itemid=132
- ٢- صحيفة الاهرام ، 2014 (www.digital.ahram.org.eg/articles)
- ٣- حاتم الشامي، أمريكا وإعادة تأهيل العالم الإسلامي -الحوار المتقدم - العدد 1329 بتاريخ 26-9-2006 الرابط المتاح
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=46419>
- ٤- ريناس بنافي ، التغيير الاجتماعي وثورات - الربيع العربي -الحوار المتقدم بتاريخ 10-2-2013 الرابط المتاح
<http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=344922&r=0>
- ٥- <http://www.ssraw.org/ar/print.art.asp?aid=62298&ac=2> سمير محمود ناصر ، نظرية ، الفوضى البناء، بتاريخ 15-4-2006 الرابط المتاح
<http://www.ssraw.org/ar/print.art.asp?aid=62298&ac=2>
- ٦- موضوع المفاهيم - التربية للجميع ، 2014 الرابط المتاح <http://educapsy.com/blog/concepts-72>

7- أفنان بنت صالح المحيسن، استخدام تقنيات ويب 2.0 في التعليم والتعلم ، 2008

http://perso.livehost.fr/images/Ens_Chap1/2.0.pdf

8- حمد باسل سليمان - تجليات العولمة - الحوار المتمدن - العدد 3272 بتاريخ 8-2-2011 الرابط المتاح

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=245043>

9- صحيفة الشرق الأوسط ، الاحد 14 رمضان 1432 هـ 14 اغسطس 2011 العدد 11947 الرابط المتاح

<http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=635630&issueno=11947#.VuHVybXpR6x>

10- صلاح الصاوي ، سات ويب 2.0 على مواقع الأرشيفات والمكتبات الرئاسية على الإنترنت، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مع

18، ع 2، رجب - ذو الحجة 1433هـ / مايو - نوفمبر 2012م

<http://www.kfml.ljfmorg.sa/Ar/mediacenter/EMagazine/DocLib/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%85%D9%86%20%D8%B9%D8%B4%D8%B1/215-248.pdf>

11- كلنتون تدعو القادة العرب إلى إصلاح لان التطرف سيملاً المنطقة ، صحيفة أخبار الخليج ، الرابط المتاح

http://www.akhbar-alkhaleej.com/11984/article_touch/425135.html